الأبعاد السياسـية و الدينـــية
فى الموقف الإيرانى تجاه الأزمة السوريـة

دكـــــتور

رامـــــي عاشـــــــور

جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

ملخـــص :

إن التزام إيران بالقيم الثورية الأساسية المتمثلة في "العدالة" و "المقاومة" وزراعة الشبكات الشيعية بمثابة خيط مستمر في سياستها الخارجية منذ الثورة، على الرغم من أن الدبلوماسية رفيعة المستوى المتعلقة بإيران غالبًا ما يتم التعبير عنها من حيث الرئيس المنتخب وتوقعات السياسة الخارجية الخاصة بهم .

إن قدرة إيران على الاستفادة من روابطها العابرة للحدود مع المجتمعات الشيعية قد ساعدتها التطورات الإقليمية ، وعلى الأخص الإطاحة بصدام حسين ووصول حكومة صديقة في العراق إلى السلطة.

إن موقع إيران كمدينة شيعية يمنحها القدرة على الاستفادة من شبكاتها الدينية العابرة للحدود عندما تخدم مصالحها الوطنية، وكان هذا هو الحال منذ فترة طويلة في رعايتها لحزب الله ، وكذلك في التبرير الديني الذي شوهد في نقل القتال إلى داعش في سوريا والعراق، إذ ترى إيران نفسها ، وبالتالي المجتمعات الشيعية التي تربطها بها علاقات ، ضحية للطائفية في المنطقة.

هذا وقد ربطت الجمهورية الإسلامية هذه المعركة بسردها عن المقاومة منذ فترة طويلة ، وبالتالي شنّت "حربها على الإرهاب" في مواجهة التهديد "التكفيري" السني .

وعلى المستوى الاقتصادي ، مع انتهاء القتال في معظم أنحاء سوريا ، يتنافس الداعمان الرئيسيان للرئيس بشار الأسد ، إيران وروسيا ، على النفوذ وغنائم الحرب ، إذ قام كلا البلدين بترويج لغتيهما ، الفارسية والروسية ، للتدريس في المدارس السورية، ووقع كلاهما عقودًا لبناء مطاحن وسط نقص حاد في الخبز، وكلاهما يبني محطات طاقة، و يتنافسا على عقود استخراج النفط وتعدين الفوسفات وبناء موانئ بقيمة ملايين الدولارات .

هذا وقد نجحت إيران فى عام ٢٠٢١ في الحصول على أول عقد نفطي سوري خاص بها.

وفي ربيع عام ٢٠١٩ ، أعلنت سوريا أنها تخطط لتأجير ميناء طرطوس لروسيا وتسليم محطة الحاويات في ميناء اللاذقية إلى إيران.

الكلمات المفتاحية : الدين – إيران – سوريا – الطائفية – الكتائب الإسلامية – الاستثمارات – العلاقات

Abstract

Iran's commitment to the core revolutionary themes of 'justice', 'resistance', and the cultivation of Shi'a networks act as a continual thread in its foreign policy since the revolution. While high-level diplomacy relating to Iran is often cast in terms of its elected President and their own foreign policy outlooks، Iran's ability to make use of its transnational links to Shi'a communities has been aided by regional developments, most notably the ouster of Saddam Hussein and coming to power of a friendly government in Iraq. Iran's position as the Shi'a metropole gives it the ability to make use of its transnational religious networks as and when they serve its national interests. This has long been the case in its sponsorship of Hizballah, and also in the religious justification seen in taking the fight to Daesh in Syria and Iraq. Iran sees itself and by extension Shi'a communities it has ties with, as a victim of sectarianism in the region. The Islamic Republic has tied this fight to its long-standing resistance narrative, and thus carrying out its own 'war on terror' in the face of the Sunni 'takfiri' threat.

On the eceonmic level، as the fighting winds down across much of Syria, President Bashar al-Assad's two main backers, Iran and Russia, have been competing for influence and the spoils of war. Both countries have promoted their respective languages, Farsi and Russian, for instruction in Syrian schools. Both have signed contracts to construct flour mills amid a dire shortage of bread. Both are building power plants. And both have been vying for contracts in oil extraction, phosphate mining and port construction worth many millions of dollars, Iran succeeded last year in landing the first Syrian oil contract of its own .

In the spring of 2019, Syria announced it was planning to lease the Tartus port to Russia and turn over the container terminal at the Latakia port to Iran

Keywords: religion - Iran - Syria - sectarianism - Islamic battalions - investments - relations

مقدمة :

بعد أن تخلت عن التصدير النشط للثورة الإسلامية في الثمانينيات ، واصلت إيران الاستثمار في بناء بنيتها التحتية الدبلوماسية والدينية ، وتوسيع أنشطة التوعية الدينية عبر العالم الشيعي ، بالاعتماد على موقعها كشيء من المدن الشيعية. في دليل على تنامي قوتها الناعمة. هذا ، بالإضافة إلى قمع الشيعة العراقيين حتى الإطاحة بصدام حسين ، كان يعني أن مراكز التعليم الديني الإيرانية ، وعلى الأخص مدينة قم ، أصبحت تنافس وتغلبت في بعض الحالات على المركز الشيعي التقليدي في النجف في العراق ، على الرغم من أن الميزان قد تم تعديله إلى حد ما في السنوات الأخيرة ، تساعد الروابط الدينية عبر الوطنية لإيران على توفير الشرعية لأعمال إيران فيما يتعلق بأنشطتها في المنطقة. ويمكن ملاحظة ذلك في تطبيقه للتراكب الديني في اشتباكاته العسكرية النشطة في العراق وسوريا ، مثل توجيه "المدافعين عن الأضرحة" إلى مناطق الصراع من المجتمعات الشيعية في المنطقة، وهذا يعطي إيران دورًا مهمًا بين الطوائف الشيعية يمكن أن تستخدمه لتعزيز مكانتها بين إخوانها في الدين.

من هنا يأتى العامل الدينى كغطاء شرعى ومستديم للنفوذ الاقتصادى والسياسى ، حيث تمثل إيران نموذجًا فى هذا الشأن وذلك بالتطبيق على سياستها وتوجهاتها تجاه الأزمة السورية ، وللوقوف على ركائز ودلائل ذلك ، اعتمد الباحث فى ذلك البحث على عدد من الركائز والمحاور **التالية** :

١- استراتيجية الموقف الإيرانى من نظام الأسد

٢- البعد الدينى للتوجهات الإيرانية

٣- سمات الكتائب الإسلامية

٤- البعد الاقتصادى للتوجهات الإيرانية تجاه سوريا

أولًا : انعكاسات تباين الموقف الايرانى تجاه الاحتجاجات العربية

بعد أن كانت إيران تتحمس لمظاهرات تونس ومصر أملًا في تغيرات تتفق مع ثورتها الإسلامية، لكنها انزعجت جدًا من نشوب مظاهرات شعبية في سوريا، مما ساهم في قطع الطريق أمام القيادة الإيرانية بالاتصال بأعوانها في الدول العربية التي شكلتها طوال الفترة الماضية بمساعدة النظام السوري كأوراق ضغط لها في المنطقة وهذا ما عبرت عنه الخارجية الإيرانية بأن مظاهرات سوريا ما هي إلا مؤامرة خارجية صهيونية وأمريكية، انتقامًا من إيران وسوريا بسبب دعمهما للمقاومة وحلفهم الممانع والمعارض لهذه السياسة، وإيران تقف وتدعم كل من هو ضد أمريكا.

فالمواقف الإيرانية من حركات الاحتجاج السياسي في سوريا متأثرة من أن أي تغيير في سوريا قد يؤدي إلى تغيير في قواعد اللعبة السياسية في المنطقة، التي تتمتع إيران فيها بقوة أكبر، وخاصة في ظل التحالف السوري الإيراني الذي استطاع المحافظة على نفسه أكثر من أربعة عقود، حيث إن إيران ترغب في أن تهدأ الأمور في سوريا، لأن استمرار الاحتجاجات ستؤدي إلى ظهور انتقادات دولية، وقد يذهب المجتمع الدولي إلى عقوبات اقتصادية ضد دمشق، ربما هذا يضطر النظام إلى مراجعة أولوياته والتفكير ربما في المحافظة على نفسه بدل التركيز على تحالفات ثمنها باهض.(١)

حيث أن إيران وتيارها المحافظ، اتخذا موقفًا مؤيدًا للنظام السوري في مواجهة الانتفاضة الشعبية في سوريا، منذ انطلاقها في ١٨ مارس ٢٠١١م، وظهر ذلك التأييد، من خلال التبني الكامل للرواية الرسمية السورية للأحداث، وقامت إيران بشن حملة إعلامية مماثلة للنموذج الإعلامي السوري، ووصف الاحتجاجات الشعبية بالمؤامرة الأجنبية التي تستهدف صمود ومقاومة سوريا، من قبل الصهاينة والغرب، والنظر إلى الأحداث على أنها "فتنة شبيهة بما حدث في إيران في عام ٢٠٠٩م".

حيث كان أول رد فعل إيراني رسمي على أحداث سوريا ما جاء على لسان السفير الإيراني في دمشق آنذاك (أحمد الموسوي) الذي شبه الاحتجاجات التي تجري في عدد من المدن السورية، بأنها نسخة من "أجندة الفتنة" التي شهدتها طهران في يونيو ٢٠٠٩م، عندما خرج المتظاهرين إلى الشوارع احتجاجًا على تزوير الانتخابات الرئاسية وإعلان فوز الرئيس (محمود أحمدي نجاد) بولاية ثانية. كما أن الموقف نفسه جددته وزارة الخارجية الإيرانية على لسان المتحدث باسمها آنذاك (رامين مهمانبراست) بعد عشرة أيام من توصيف السفير الإيراني في دمشق لأحداث سوريا على أنها "فتنة مدعومة من الخارج"، فقد اعتبر (رامين مهمانبراست)، المتحدث بإسم وزارة الخارجية الإيرانية أن المظاهرات المناهضة للحكومة في سوريا تأتي في إطار "مؤامرة غربية لزعزعة حكومة تؤيد المقاومة في الشرق الأوسط"، كما رأى أن ما يحدث في سوريا "عمل شرير ينفذه الغربيون وخاصة الأمريكيين والصهاينة".(٢)

وجاء دفاع إيران عن النظام السوري عبر أكثر من مسئول إيراني على نحو ما ورد على لسان علي أكبر صالحي وزير الخارجية الإيراني الأسبق ، في مؤتمر دولي في طهران ٣٠ مايو ٢٠١١م، عندما انبرى لحصر إيجابيات النظام السوري وقال "وقفت سوريا في وجه النظام الصهيوني، ولعبت دورًا كبيرًا في إحباط مؤامرات الغرب والولايات المتحدة في المنطقة، واتخذت السلطات السورية خطوات جيدة نحو الإصلاحات خلال التطورات الأخيرة في البلاد".

ويمكن من خلال تتبع الوسائل الإعلامية الرسمية الإيرانية، ملاحظة مدى الدعم الإيراني للنظام السوري، والتزام الإعلام الإيراني بنقل الرواية الرسمية السورية للأحداث، وتغييب آراء المعارضة. وقد أكدت إيران، في أكثر من مناسبة، إيمانها بقدرة الحكومة السورية على التعامل مع الأوضاع، وأعلنت

دعمها للإصلاحات التي أعلنها الرئيس بشار الأسد لتخفيف الأزمة. ونظرًا للتقدير الشعبي العربي لمواقف السياسة السورية تجاه الغرب وإسرائيل، فقد ركزت البيانات الإيرانية الرسمية، على أن الشعوب العربية تدرك أن ما يجري في سوريا ما هو إلا "مؤامرة أمريكية لدعم الكيان الصهيوني"، وأكدت ثقتها بقدرة سوريا على متابعة تأدية دورها التاريخي في المنطقة.

وفي حين أن إيران تتبنى التقييم السوري الذي يركز على أن الجمهورية السورية مستهدفة بسبب مواقفها السياسية ومناهضتها لإسرائيل، وأن ما يجري ما هو إلا محاولة لتصدير الثورات العربية إلى سوريا، وتتبنى وسائل الإعلام الحكومية في إيران التقييمات السورية دون أي تعليق، وهي رواية تتحدث بنفسها عن موقف صارم ضد ما يحدث، فعلى سبيل المثال تبنت وكالة الأنباء الإيرانية الرواية السورية حول الهجوم على درعا. وعلى الرغم من أن إيران ربما تعرف أن موقفها من تطورات المشهد السوري سيؤثر بشكل كبير على صورتها المتأثرة أصلًا لدى الرأي العام السوري والعربي، وربما تواجه انتقادًا شديدًا. (٣)

فامتداد رياح الثورة العربية إلى سوريا الحليف القوي لإيران، هذا التطور لم يضع إيران أمام مأزق ازدواجية المواقف من الثورات العربية فقط، بل فرض تحديات جديدة على إيران التي يمكن أن تواجه بسقوط أحد أهم الحلفاء في المشرق العربي، بما يقطع ويؤثر سلبًا على تواصل إيران مع حزب الله ومنظمات المقاومة الفلسطينية، ويضع عوائق هائلة أمام نفوذ إيران في المنطقة، فقد واجهت إيران ما يمكن وصفه "بأزمة مصداقية" في خطابها السياسي بسبب ما سبق أن أبدته من حماسة زائدة ودفاعًا عما أسمته "بالثورة الديمقراطية" في البحرين، وما أعلنته من إدانة قوية وصريحة لدخول قوات درع الجزيرة إلى البحرين واعتبرته احتلالًا لهذا البلد، فيما أدانت تحركات الشعب السوري ومطالبه العادلة من أجل الإصلاح.

وقد بدت المفارقة الكبيرة في الموقف الإيراني من الانتفاضة السورية، عندما اتهمت إيران الولايات المتحدة بالازدواجية، بسبب حديثها عن دعم الثورات الشعبية بالرغم من تاريخها في دعم الأنظمة الاستبدادية في المنطقة، وهذه المفارقة استخدمتها المعارضة الإصلاحية في إيران، لاتهام النظام بالازدواجية حيث دعم الثورات الشعبية في البحرين ومصر، ورفضها في سوريا، وقمعتها في الداخل الإيراني.

إن الموقف الإيراني من الانتفاضة السورية لم يكن مفاجئًا، بسبب طبيعة العلاقات الإستراتيجية بين سوريا وإيران منذ قيام الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩م، ولأن سقوط، أو إضعاف النظام السوري، سيشكل تداعيات سلبي على النفوذ الإيراني في لبنان والمنطقة، باعتبار سوريا البوابة الجيوسياسية لهذا النفوذ(٤)

هذه الازدواجية الإيرانية في توصيف المطالب الديمقراطية العادلة للشعوب التي تطالب بالإصلاح والعدالة والكرامة مرة بأنها مطالب "عادلة ومشروعة"، ومرة أخرى بأنها "فتنة مأجورة وعميلة للخارج"، من شأنها أن تفقد الخطاب السياسي الإيراني مصداقيته، وهذا بدوره يسئ إلى الدور الإيراني وعلاقات إيران الإقليمية، فالإزدواجية نفسها حدث عندما بادرت إيران إلى تأييد ثورة الشعب المصري ومن قبلها ثورة الشعب التونسي، وإسقاط نظامي حسني مبارك وزين العابدين بن علي، انحازت إيران للشعبين في تونس ومصر، لكن عندما حاول الإصلاحيين في إيران تنظيم مظاهرة كبرى في طهران تأييدًا لثورة الشعب المصري واحتفالًا بانتصارها، تصدت لها السلطات الأمنية الإيرانية وحالت دون القيام بها، وجددت حديث الفتنة، وقامت بفرض الإقامة الجبرية على كل من (موسوي – كروبي) ، وخرجت أصوات داخل البرلمان الإيراني "مجلس الشورى" وخارجه تطالب بمحاكمة قادة المعارضة. (٥)

تعتبر الازدواجية في الخطاب السياسي الإيراني هي أهون الشرور بالنسبة لإيران مقارنة بخطورة سقوط النظام السوري الذي لم يستطيع امتلاك القدرة على احتواء الأزمة وفهم الدروس التي أفرزتها تجارب الثورات السابقة في تونس ومصر وليبيا واليمن على وجه الخصوص فاعتماد النظام على الحل الأمني والنزول بالجيش لقمع المعارضة بوحشية والتردد في اعتماد الحل السلمي فاقم من مطالب المتظاهرين وصعد بها من مطلب "الشعب يريد إصلاح النظام" إلى مطلب "الشعب يريد إسقاط النظام"، كما أنه أعطى الفرص للأمريكيين والفرنسيين والإسرائيليين للتدخل والمطالبة بتدويل الأزمة والتهديد بإسقاط النظام ورحيل بشار الأسد.

فقد تعرض الإعلام الرسمي الإيراني، لهجوم كبير من قبل الإصلاحيين، ومن الأمثلة على ذلك، المقال الذي كتبه نائب وزير الخارجية السابق، السيد محمد صدر، وانتقد فيه التغطية الإعلامية للاحتجاجات السورية في وسائل الإعلام الإيرانية الرسمية وشبه الرسمية، وقال إن الموقف المطلوب من إيران هو إسداء النصح للرئيس بشار الأسد للاستماع إلى شعبه وإجراء إصلاحات حقيقية في النظام، أما موقع المعارض الإصلاحي، (مير حسين موسوي) ، فقارن بين الإعلام الإيراني الذي تحدث عن جمعة هادئة في سوريا بتاريخ ٢٣ إبريل ٢٠١١م، ووسائل الإعلام السورية الرسمية التي قالت إن عددًا من المدنيين قد قتلوا في المواجهات في تلك الجمعة.[٦]

وكذلك في انتقاد لمواقف إيران من الثورات العربية يقول الكاتب الإيراني سعيد كمالي ديغان، بينما سلطت إيران الضوء على النفاق الأمريكي في التعاطي مع الاحتجاجات في البحرين واليمن والفشل الأميركي في إدانة العنف المستخدم من قبل حكومة هذه البلدين، اكتسبت إيران بعض الاعتراف في المنطقة، غير أن الحالة السورية تكشف نفاق إيران؛ فخلافًا لموقف إيران في مناطق أخرى من العالم العربي، وصفت طهران المحتجين في سوريا بأنهم "مثيروا شغب" و"إرهابيون" مأجورون من إسرائيل لتأسيس حالة الفوضى

وزعزعة الاستقرار، كما أن وسائل الإعلام الحكومية في إيران التي تجاهلت بداية الاحتجاجات في سوريا وركزت على بث اعترافات نقلها التلفزيون السوري الرسمي لمجموعة قالت إنها تلقت أموالًا من إسرائيل لإرسال صور وفيديو للاحتجاجات إلى الخارج، ويخلص (ديغان) إلى أن إيران دائمًا على استعداد للتنازل عن مبادئها إذا ما كان ذلك يصب في خدمة أهدافها.

فإيران رفضت هذا كله وما زالت تدافع عن النظام السوري في الوقت الذي بدأ التركيز فيه على اتهام إيران بالمشاركة في قمع المتظاهرين السوريين حسب ما نقلت صحيفة "واشنطن بوست الأمريكية" في ٢٧ مايو ٢٠١١م، عن مسئولين أمريكيين من أن إيران تُرسل مدربين ومستشارين بينهم عناصر من قوة النخبة "فيلق القدس" إلى سوريا للمساعدة في قمع الاحتجاجات المطالبة بالديمقراطية والتي تهدد بالإطاحة بأهم حليف لطهران في المنطقة. (٧)

ومن جانبه وصف النائب الأسبق لرئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية (محمد رضا رحيمي) ، ما يجري في سوريا بمؤامرة "القوى الاستكبارية"، ورأى أنها إجراء فاشل، وقال إن تحركات ومؤامرات النظام الاستكباري في الشرق الأوسط فشلت ووصلت إلى طريق مسدود. وقال رحيمي خلال لقائه في طهران وزير النفط والثروات المعدنية السوري آنذاك (سفيان علاو) ، إن انتصار ورفعة سوريا هو ما تتمناه الجمهورية الإسلامية، مضيفًا أن إيران وسوريا بلدان حليفان ولا يفترقان. وأكد رحيمي أن إيران تقف إلى جانب البلد الصديق والمسلم سوريا باستمرار وفي كافة الظروف، واصفًا الثورة السورية بأنها "بعض أعمال الشغب التي تحدث في سوريا بتحريك من القوى الاستكبارية"، وقال "النظام الاستكباري يقود هذه الأحداث، وإن تدخل الأعداء واضح تمامًا في إثارة الفتنة داخل سوريا".(٨)

كما أكد وزير الخارجة الإيراني الأسبق (علي أكبر صالحي) ، أن حلف الأطلسي ليس بإمكانه تهديد سوريا بشن هجوم، محذرًا من أنه إذا حدث

ذلك فسيغرق "الناتو" في مستنقع شبيه بالعراق وأفغانستان، لأن الشعب السوري هو شعب مقاوم، وكان (صالحي) قال إن على الحكومة السورية تلبية المطالب المشروعة لشعبها، محذرًا من أن الفراغ السياسي في سوريا قد يسبب كارثة إقليمية ودولية، فيما اعتبر المتحدث بإسم لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في مجلس الشورى الإسلامي في إيران كاظم جلالي بأن تيار المقاومة غير مرتبط بدولة معينة، وإنما له جذوره المترسخة التي تمتد داخل الحركة العظيمة للأمة الإسلامية.

وعلى ما يبدو، فإن تأييد إيران للنظام السوري يأتي كمحاولة استباقية لعدم نجاح الثورة في سوريا، لما قد يترتب على ذلك الأمر من تهديد كبير للمصالح والحسابات الإقليمية الإيرانية في الوقت الذي تواجه فيه تحديات عدة داخليًا وخارجيًا؛ فسقوط النظام سيترتب عليه فقدان إيران أهم حلفائها الاستراتيجيين في المنطقة وحلقة الوصل بينها وبين حلفائها، الأمر الذي يقضي على طموحاتها في الهيمنة. وبالتالي إن الموقف الإيراني إزاء الثورة السورية مقارنة بالموقف الإيرانى إزاء الثورات العربية الأخرى يدل على نفاق سياسي، ففي الوقت الذي يدعي فيه النظام الإيراني ارتكازه على مبادئ وأسس أيديولوجية نابعة من الثورة الإسلامية، فإن مواقف من هذا القبيل لا تمت بصلة إلى أي مبادئ، وإنما هي مواقف برجماتية تعطي الأولوية للمصالح على حساب المبادئ.[٩]

وبالتالي فإن إيران تعاملت مع الاحتجاجات والثورة في سوريا بشكل مختلف حيث عالجت آلتها الإعلامية عنف الشرطة مع المتظاهرين بتحفظ، وركزت على الدعوة للتهدئة، واعتبرت أن ما يجري جزءًا من مؤامرة تستهدف النظم المقاومة، ومع أن اختلاف الموقف الإيراني من حالتي البحرين وسوريا يمكن فهمه من زاوية حماية النظام العربي الوحيد الذي يتبنى استراتيجية المواجهة مع الكيان الصهيوني، إلا أنه يبدو لقطاع من المواطنين السوريين

موقفًا متناقضًا خصوصًا أن مطالب الإصلاح السياسي لها سندها الحقيقي في سوريا، كما هو الحال في البحرين.(١٠)

ثانيًا : استراتيجية الموقف الإيرانى من نظام الأسد

منذ بداية الأزمة السورية ، كان يُنظر إليها من قبل الحرس الثوري الإسلامي (IRGC) على أنها تهديد خطير ، فمنذ الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ ، كان التحالف مع سوريا بمثابة ركيزة مهمة في سعي إيران للهيمنة الإقليمية؛ حيث كانت سوريا ، ولا تزال ، العمود الفقري الحيوي في حماية أهم الأصول الاستراتيجية لإيران في الشرق الأوسط – حزب الله – . على عكس الميليشيات الشيعية العراقية والباكستانية والأفغانية ، فإن حزب الله ليس مجرد منظمة بالوكالة في خدمة إيران ، بل إن التنظيم اللبناني هو أعظم نجاح للجمهورية الإسلامية في جهودها لتصدير أيديولوجيتها الشيعية الثورية في الشرق الأوسط، لذلك ، عندما واجه نظام بشار الأسد خطرًا وجوديًا إثر اندلاع الانتفاضة السورية عام ٢٠١١ ، سارعت طهران بالتدخل عسكريًا لإنقاذه، فأمرت إيران حزب الله في البداية بمساعدة قوات النظام السوري ، ولكن عندما اتضح أن ذلك لن يكون كافيًا ، لم تتردد إيران في استخدام قواتها، و بعد التدخل الروسي الإيراني المشترك في سبتمبر ٢٠١٥ ، بلغ عدد قوات الحرس الثوري الإيراني في سوريا ذروته عند حوالي ٨٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ ، بالإضافة إلى ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ جندي من الجيش الإيراني النظامي (١١).

عندما تحول أمد الحرب الأهلية السورية لصالح الأسد ، بدأت إيران في سحب قواتها من هذا البلد واعتمدت بشكل أساسي على وكلائها ؛ فوفقًا لتقديرات مختلفة ، في أواخر عام ٢٠١٨ ، قاد حوالي ٢٠٠٠ مسلح من فيلق

القدس (وحدات خاصة من الحرس الثوري الإيراني) عشرات الآلاف من المقاتلين من مختلف الميليشيات في سوريا ، معظمهم من الجماعات الشيعية من العراق وأفغانستان وباكستان، كما أنشأت إيران ميليشيات شيعية محلية ، مثل الإمام الحجاج وجيش المهدي في محافظة حلب ، ولواء روكيا في محافظة دمشق ، وقوة الإمام الرضا في حمص.

و في نوفمبر ٢٠٢٠ ، قُدر عدد السوريين في هذه المليشيات الشيعية بما يتراوح بين ٥٠٠٠ و ٨٠٠٠، هذا بالإضافة إلى مقاتلي حزب الله ، الذين يمتلكون مواقع عسكرية في جميع أنحاء سوريا(١٢).

وقد نشر مركز جسور في اسطنبول خريطة في فبراير ٢٠٢١ أظهرت أن إيران والميليشيات التابعة لها لديها ١٣١ موقعًا عسكريًا في سوريا منتشرة في عشر مناطق ، منها ٣٨ في درعا ومحيطها ، و ٢٧ في دمشق ، و ١٥ في حلب ، و ١٣ في دير الزور ١٢ في حمص وستة في حماة وستة في اللاذقية وخمسة في السويداء وخمسة في القنيطرة وأربعة في إدلب(١٣). بالإضافة إلى ذلك ، يمتلك حزب الله ١١٦ نقطة عسكرية إضافية في جميع أنحاء سوريا، و تشير التقديرات إلى أن حزب الله والميليشيات الشيعية الأخرى يسيطرون على ما يقرب من ٢٠ بالمائة من حدود سوريا(١٤).

ومع ذلك ، فإن التدخل الإيراني في سوريا يتجاوز المجال العسكري ؛ فمنذ عام ٢٠١٣ ، عززت إيران قبضتها على القطاعات المدنية والاقتصادية في سوريا، وكان الهدف من هذا الجهد هو جعل مهمة إخراج إيران من سوريا في أعقاب الحرب الأهلية شبه مستحيلة، ولعل القرار الذي اتخذ في عام ٢٠١٩ لبناء شبكة سكك حديدية من غرب إيران إلى ميناء اللاذقية في سوريا عبر العراق هو التعبير الأبرز في هذا السياق؛ حيث حددت إيران بوضوح الأهمية

الاستراتيجية لميناء اللاذقية الذي سيوفر صادرات النفط الإيرانية، مع وصول مباشر إلى البحر الأبيض المتوسط.

في الواقع ، كانت الشركات الإيرانية تسعى للحصول على مصالح إدارية في الميناء حتى قبل توقيع هذه الاتفاقية [١٥]

كما استحوذت الشركات الإيرانية تدريجيًا على حصص في سوق العقارات بدمشق من خلال شبكات من المؤسسات الإيرانية وتجار العقارات والبنوك المرتبطة بالحرس الثوري الإيراني، و قدمت طهران قروضًا مناسبة للأفراد الراغبين في شراء عقارات في سوريا ، وبالتالي أصبح المقاولون الإيرانيون ورجال الأعمال وأعضاء الميليشيات في السنوات الأخيرة أباطرة عقارات في مواقع استراتيجية في العاصمة السورية [١٦].

و تقوم إيران أيضًا ببناء مركز تجاري من ١٢ طابقًا في دمشق ، من المفترض أن يستضيف ٢٤ شركة إيرانية[١٧].

ثالثًا : البعد الديني للتوجهات الإيرانية

بعد أن تخلت عن التصدير النشط للثورة الإسلامية في الثمانينيات ، واصلت إيران الاستثمار في بناء بنيتها التحتية الدبلوماسية والدينية ، وتوسيع أنشطة التوعية الدينية عبر العالم الشيعي ، بالاعتماد على موقعها كشيء من المدن الشيعية. في إظهار لقوتها الناعمة المتزايدة.

هذا ، بالإضافة إلى قمع الشيعة العراقيين حتى الإطاحة بصدام حسين ، كان يعني أن مراكز التعليم الديني الإيرانية ، وعلى الأخص مدينة قم ، أصبحت تنافس وتغلبت في بعض الحالات على المركز الشيعي التقليدي في

النجف في العراق ، على الرغم من أن الميزان قد تم تعديله إلى حد ما في السنوات الأخيرة[١٨]

تساعد الروابط الدينية عبر الوطنية لإيران على توفير الشرعية لأعمال إيران فيما يتعلق بأنشطتها في المنطقة. ويمكن ملاحظة ذلك في تطبيقه للتراكب الديني في اشتباكاته العسكرية النشطة في العراق وسوريا ، مثل توجيه "المدافعين عن الأضرحة" إلى مناطق الصراع من المجتمعات الشيعية في المنطقة [١٩]

وهذا يعطي إيران دورًا مهمًا بين الطوائف الشيعية يمكن أن تستخدمه لتعزيز مكانتها بين إخوانها في الدين[٢٠]

تتمتع إيران بعلاقات تاريخية مع الشيعة العراقيين والتي تعود إلى العلاقات الدينية والعائلية طويلة الأمد مع مدن المزارات في جنوب العراق ، وأبرزها النجف وكربلاء.

هذا الأخير ، كونه موقع استشهاد إمام الشيعة الثالث ، الحسين ، يحمل أهمية كبيرة للشيعة في جميع أنحاء العالم ويرمز إلى النضال ضد الظلم والحكام الظالمين ، وهو ما أثبت أنه أساس للرسالة الثورية للجمهورية الإسلامية.

كما تعززت هذه الروابط من خلال الملاذ السياسي الذي وفرته الجمهورية الإسلامية للمعارضة الشيعية الفارين من صدام. وبالمثل ، فإن الروابط الدينية مع الشيعة اللبنانيين موثقة جيدًا وتعود إلى قرون ، وكذلك الروابط الدينية مع الشيعة في البحرين والهند وباكستان وأفغانستان [٢١]

يمكن رؤية مركزية إيران في عالم الشيعة في الطبيعة العالمية لمدينة قم – مركز التعليم الديني الإيراني. هنا يحضر الطلاب ورجال الدين من جميع

أنحاء العالم ندواتها المختلفة ، ثم يعودون إلى بلدانهم بعد أن حصلوا على تعليمهم الديني في إيران ، مما يعزز الروابط.

ومع ذلك ، فإن هذه الشبكة العابرة للحدود لا تشمل الأنشطة "الدينية" التقليدية المرتبطة بالحوزة فحسب ، بل تشمل أيضًا البعثات التعليمية والدبلوماسية التي تقوم بها الحكومة الإيرانية في الخارج.

يتم استخدام الروابط العابرة للحدود التي تتمتع بها إيران نتيجة لموقعها كمركز ديني كموجه لتعزيز العلاقات الدبلوماسية وتعميق العلاقات مع المجتمعات في جميع أنحاء العالم الشيعي ، حيث تعمل كمعزز لقوتها الناعمة (٢٣)

يتم تنفيذ هذا العمل من خلال العديد من المنظمات شبه الحكومية ، مثل جمعية أهل البيت العالمية ، ومنظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية (ICRO) ومؤسسة الإمام الخميني للإغاثة (إمداد). تجمع جماعة أهل البيت علماء الشيعة والزعماء الدينيين من جميع أنحاء العالم معًا كل أربع سنوات في مؤتمر في طهران(٢٤)

تقوم ICRO بتوجيه الدبلوماسية الثقافية الإيرانية وتوظيف ملحقيها الثقافيين في الخارج – لديهم صلاحيات مرنة فيما يتعلق بتواصلهم الثقافي ، (٢٥)على الرغم من أن الكثير من عملها يتم في المجال الديني. تقوم إمداد(٢٦) ، باعتبارها واحدة من أكبر المؤسسات الخيرية في إيران ، بأعمال تنموية في المقام الأول داخل إيران ، ولكن لديها أيضًا عملية دولية نشطة تقدم المساعدة التنموية للمجتمعات الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

وبالتالي ، تمتلك إيران عددًا من الشبكات التي تعتمد على موقعها كمركز لتعلم الشيعة وتأثيرهم ، والتي تسمح لها بتسخير سرد قائم على الهوية يجد فائدة عملية في كل من ارتباطاتها الناعمة و "الصعبة" في منطقة. إن موقعها كمدينة شيعية يمنحها وسيلة للتأثير بين الشيعة في جميع أنحاء العالم ، حيث تعمل التوعية الثقافية والدينية على تعزيز الروابط مع هذه المجتمعات.

تمكنت إيران أيضًا من ترك بصماتها على جانبين مهمين من جوانب المجتمع السوري: الدين والديموغرافيا ؛ فمنذ بداية تدخلها في سوريا ، حاولت إيران كسب النفوذ مع المجتمع العلوي وتقريبهم من الفرع الشيعي للإمامية (الإثني عشرية) ، وهو الشكل السائد للشيعة في إيران، وكجزء من هذا الجهد ، قامت إيران ببناء أضرحة شيعية في سوريا واستخدمتها كمراكز للتلقين، كما سعت إيران إلى زيادة الحجم والوزن الديموغرافي للطائفة الشيعية في سوريا من خلال منح الجنسية السورية للشيعة الأجانب ، وخاصة الأفغان ، وإنشاء أحياء مخصصة لهم في دمشق، بالإضافة إلى ذلك ، شجعت إيران عائلات مقاتلي الحرس الثوري الإيراني على الهجرة والاستقرار في منطقة دمشق[٢٧]، ونتيجة لذلك ، أصبحت الأحياء الشيعية معاقل موالية لإيران في قلب العاصمة السورية ، بطابع خاص انعكس ، على سبيل المثال ، في أحداث عاشوراء أثار هذا التطور انتقادات من سكان هذه الأحياء منذ فترة طويلة ، واستخدم البعض وسائل التواصل الاجتماعي للتنديد بـ "التوسع الإيراني في دمشق" و "محاولات إيران التلاعب بتركيبة العديد من أحياء دمشق لصالحها"، وجادل البعض بأن "إحياء ذكرى عاشوراء ليس غريبًا على السوريين ، لكن هناك من يحاول المبالغة في الأمر وإعطائه معنى مختلفاً"[٢٨].

كما تم تغيير أسماء الشوارع والمواقع في هذه الأحياء بما يعكس مصالح القوة المهيمنة الجديدة في المنطقة؛ فعلى سبيل المثال ، تم تغيير إسم شارع "التين" في غرب حي "السيدة زينب" في الضاحية الجنوبية لدمشق إلى شارع "الحوراء" أحد ألقاب زينب إبنة الأم، و تم تغيير إسم السوق في غرب الحي إلى "الفاطمية" نسبة إلى زوجة علي (والدة زينب)، بالإضافة إلى الشعارات الفارسية وصور مقاتلي الميليشيات الموالية لإيران الذين قُتلوا خلال الحرب الأهلية السورية على الحائط المحيط بضريح السيدة زينب وسط الحي[٢٩].

كما أنشأت إيران أيضًا مراكز ثقافية في جميع أنحاء دمشق ، مصممة لتعزيز أجندة الجمهورية الإسلامية في سوريا، فعلى سبيل المثال ، أفادت وسائل إعلام إيرانية في ديسمبر ٢٠٢٠ أنه خلال شهري ديسمبر ويناير ، ستقيم عدد من المراكز الثقافية في دمشق مراسم تذكارية لإحياء ذكرى اغتيال قائد فيلق القدس (قاسم سليمانى) ، الذي قُتل في يناير ٢٠٢٠.

وقدم أيضًا المركز الثقافي العربي في حي كفرسوسة (جنوب غرب دمشق) ، معرضًا تضمن ملصقات وصورًا لسليماني ، ضمن فعالية بعنوان "قصة حب"، أقيمت هذه الأحداث التذكارية تحت رعاية مركز الفكر والفنون الإسلامية في طهران والمستشار الثقافي الإيراني بدمشق [٣٠].

ومع ذلك ، فإن النفوذ الإيراني في سوريا واضح ليس فقط في دمشق ، ولكن أيضًا من خلال المراكز الثقافية والمؤسسات الدينية التي أنشأها المبعوثون الإيرانيون في مناطق أخرى من سوريا ، بما في ذلك محافظة دير الزور شمال شرق البلاد، وتستضيف هذه المراكز الثقافية أيضًا فعاليات تُمليها

طهران ، مثل حفل تأبين سليماني الذي أقيم في "المركز الثقافي الإيراني" في دير الزور في ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٠ [٣١].

تلك المنطقة التى تعتبر منطقة استراتيجية لإيران؛ حيث تربط المصالح الإيرانية في العراق بسوريا ولبنان ، وتقوم الشبكات التي لها صلات بإيران بتهريب الأسلحة والمخدرات والتبغ من العراق عبر بلدة (البوكمال) السورية الحدودية إلى لبنان. لذلك ، تحاول طهران تعزيز قبضتها على المنطقة من خلال الحرس الثوري الإيراني ، ولكن أيضًا من خلال تجنيد الشباب السوريين الذين يعيشون في هذه المنطقة ذات الغالبية السنية ، من خلال توفير الحوافز المادية والمساعدات الإنسانية ، فضلاً عن الخدمات الطبية والتعليمية والثقافية، فوفقًا للمركز السوري لحقوق الإنسان ، طورت دير الزور بالفعل خصائص مستعمرة إيرانية أو حتى محمية[٣٢].

بالإضافة إلى ذلك ، وعلى عكس بقية سوريا ، فإن وجود الجنود الإيرانيين في دير الزور بارز جدًا، وتشير التقديرات إلى أن ما يقرب من ألف جندي إيراني عملوا في دير الزور في سبتمبر ٢٠٢٠ ، إضافة إلى عدة مئات من مقاتلي المليشيات الشيعية من العراق وأفغانستان[٣٣]، وفي عام ٢٠١٨ ، أفادت التقارير أن إيران كانت تقيم قاعدة عسكرية بالقرب من البوكمال تسمى "الإمام علي" ، وأكدت صور الأقمار الصناعية لعام ٢٠١٩ أن هذه القاعدة كانت نشطة بالفعل[٣٤]

في نوفمبر ٢٠٢٠ ، تم الإبلاغ عن مقتل قائد الحرس الثوري الإيراني ، (سالم شهدان) ، مع ثلاثة من جنوده في هجوم بطائرة بدون طيار بالقرب من البوكمال[٣٥] ، وفي يونيو ٢٠٢١ ، تعرض ضابط الحرس الثوري الإيراني

(حسن عبد الله زاده) و (محسن عباسي) ، لكمين نصبه تنظيم الدولة الإسلامية وقتلا في طريقهما من دير الزور إلى تدمر[٣٦].

رابعًا : سمات المعارضة السورية (الكتائب الاسلامية)

على الرغم من أن مرجعيتها جميعًا القرآن والسنة، فإن الكتائب والقوى الإسلامية المسلحة في سوريا لا تنضوي في كيان سياسي أو عسكري جامع لها، كما أنها تتباين فكريًا، فمنها من يتبنى الفكر الجهادي العالمي الأقرب إلى القاعدة، ومنها من يتبنى خطابًا إسلاميًا وسطيًا، فيما تصف الأغلبية نفسها بالسلفية.

من جهة أخرى، وعلى الرغم من أن معظم هذه القوى تنظر إلى صراعها مع النظام باعتباره" جهادًا ضد نظام كافر علماني"، فإن نبرة الخطاب الأيديولوجي تتباين من حيث الشدة والطرح .

ويمكن عمومًا تحديد سمات عامة للكتائب والقوى الإسلامية يتمثل أهمها فيما يلى:

١- **القدرة على التأثير** :تمتلك هذه الكتائب مقومات كبيرة للتأثير في الشارع المنتفض منها :الخطاب الديني، وقوة التمويل، وشبكات العمل الإغاثية النشطة والمستندة إلى موارد مالية كبيرة نسبيًا، وشبكة علاقات اجتماعية واسعة، والذراع الإعلامية الفاعلة، أي أنها تمتلك قدرات أكثر من غيرها من فصائل المعارضة المسلحة وذلك في إطار مُتكامل يُلبي احتياجات الشارع المنتفض.

٢- **بيئة العمل** : معظمها ريفي المنبت، إذ تتوافر لها بيئة العمل المثالية، والتي تبدأ من شعور الريف بالإهمال والتهميش، إلى شبكة العلاقات الاجتماعية المتينة، وصولًا إلى الطابع المحافظ للريف السوري عمومًا.

٣- **أطروحاتها السياسية** : تُجمع هذه الكتائب والمجموعات على أن سوريا المستقبل يجب أن تكون إسلامية، ولكن هنا تختلف في طرح تحقيق هذا الهدف وكيفيته، ففيما يذهب بعضهم إلى الدعوة لإنشاء خلافة إسلامية، يريدها غيرهم دولة إسلامية وطنية تحكمها الشريعة، في حين تبدو الفكرة عند آخرين مجرد شعار جذاب يحظى بالقبول شعبيًا .[٣٧]

أما بالنسبة لتمويل الكتائب الاسلامية

فيُشكل أحد أبرز القضايا الخلافية في الثورة السورية، ويعد أهم أسباب الخلاف والفرقة بين قوى المعارضة المدنية والعسكرية؛ فتنوع سياسات الممولين ومحاولتهم شراء نفوذ لهم على الأرض لا يجعل فصائل المعارضة عرضة للضغوط فحسب، بل ينذر أيضًا بتحول بعض الكتائب إلى ميليشيات خاصة تتلقى أوامرها من الخارج .

كما أن اختلاف مصالح الممولين واختيارهم دعم فصائل دون أخرى ينقل الاستقطاب الإقليمي والدولي إلى الداخل السوري، ويعكس اختلافًا على الأرض، قد يتطور ليتحول إلى اقتتال .

ينذر كل ذلك بتحول الحالة السورية من ثورة شعب مقموع على نظامٍ مستبدٍ، إلى حربٍ بالوكالة بين القوى الإقليمية والدولية المتنافسة على النفوذ في سورية .

وتتوزع مصادر تمويل قوى المعارضة العسكرية بشقيها الإسلامي والعلماني على ثلاثة مصادر رئيسة، هي:

١- **تمويل حكومي** : تسعى بعض الحكومات لصنع أدوات تأثير ونفوذ لها في الصراع ، ومن أبرز الحكومات التي تقدم تمويلًا للمعارضة المسلحة السورية حكومات دول الخليج، وبريطانيا، وفرنسا، وتركيا .

٢- **التمويل الشبكي** : يعتمد هذا النوع من التمويل على شبكات منظمة لديها خبرات كبيرة في تأمين المال والسلاح . وتمتاز الجماعات الإسلامية خصوصًا بامتلاكها شبكات تمويل كبيرة عابرة للحدود .ومنذ اندلاع الثورة السورية وتحولها إلى العمل المسلح، بدأت بعض هذه الشبكات في تحويل الدعم للداخل السوري، وتعتمد في إيصاله على العلاقات الشخصية من خلال وجهاء محليين ودعاة ورجال دين داخل سورية وخارجها.[٣٨]

٣- **التمويل الذاتي** :برز هذا النمط من التمويل لسد النقص الحاصل في تدفق المعونات الخارجية، كما لجأ إليه البعض لتحقيق درجة من الاستقلالية عن التمويل الخارجي المشروط، فتحول الكثير من الجماعات المسلحة إلى استثمار كل ما يقع تحت أيديهم من معامل، ومنشآت اقتصادية، وآلات، وآليات، ومعادن مثل النحاس والحديد، وغيرها من الموجودات ذات القيمة سواء كانت ملكيتها عامة أم خاصة، فضلًا عن الأسلحة والذخائر التي يجري اغتنامها من مواقع الجيش النظامي.

وقد تشكلت المجالس العسكرية في ظل توجه إقليمي ودولي لضبط المعارضة العسكرية واحتواء التيارات " الإسلامية المتشددة "فيها .

من هنا، اعتمدت المجالس العسكرية في تمويلها بشكل رئيسى على مصادر تمويل خارجية حكومية غالبًا، وارتبط هذا التمويل بسياسات تلك الدول ورؤيتها للصراع ؛ فتارة يجري العمل على صرف مستحقات مالية للمجالس العسكرية، ومرة أخرى يتوقف لأسباب تتعلق بمصالح الممولين ورؤيتهم للصراع.

أما الكتائب الإسلامية، فتتروح مصادر تمويلها بين حكومات ومنظمات وهيئات وأفراد، ويعتمد لواء الإسلام ولواء الحبيب المصطفى، على سبيل المثال، على تمويل يأتي من أفراد في الخليج عبر وسطاء ، فيما تعتمد كتائب أخرى على شبكات يديرها دعاة وشيوخ سلفيون مثل أحرار الشام التي تمولها الهيئة الشعبية برئاسة الشيخ الكويتي حجاج العجمي، ولواء صقور الشام الذي يقول إن تمويله يأتي من مغتربين سوريين وعرب؛ وذلك عبر المعارض السوري عماد الدين رشيد، في حين يتم تمويل بعض الكتائب المقاتلة في حمص من قبل شيوخ سلفيين في البحرين والسعودية .

في الآونة الأخيرة، بدأت الكتائب الإسلامية والمجالس العسكرية على السواء بتعزيز مصادر تمويلها الخاصة؛ إذ أفرزت أجواء الصراع الدائر في سوريا شكلًا من أشكال" اقتصاد الحرب" القائم على مفهوم" الغنيمة"، فضلًا عن تجارة السوق السوداء وفرض رسوم أو مستحقات مالية وفق ما تراه الكتائب على النشاطات التجارية والزراعية وغيرها

كما بدأت تزدهر تجارة النفط وتهريبه عبر الحدود التركية خاصة بعد سقوط عدد من آبار النفط في مناطق شمال وشرق سوريا في أيدي جماعات المعارضة المسلحة وقد وفرت هذه التجارة موردًا ماليًا معتبرا لبعض الكتائب، لكنها تحولت من جهة أخرى إلى سببٍ للتنازع فيما بينها للسيطرة على هذه الموارد

وقد اتهم بشار الاسد كلاً اسرائيل وتركيا رسمياً بأنهم يتعاونوا مع هؤلاء الجماعات من خلال التمويل واخبارهم بالمواقع الحيوية والاستراتيجية فى سوريا لضربها. [٣٩]

خامسًا : البعد الاقتصادى للتوجهات الإيرانية تجاه سوريا

في السنوات الأخيرة ، عززت إيران أيضًا اتفاقياتها الاقتصادية والتجارية مع النظام السوري ، مع بسط سيطرتها على القطاعات الصناعية والزراعية والتجارية والمصرفية في البلاد؛ فعلى سبيل المثال ، في عام ٢٠١٣ ، وقعت الحكومة السورية اتفاقية بقيمة (٣,٦) مليار دولار مع إيران لشراء المنتجات البترولية، وفي اتفاق آخر ، تعهدت دمشق بخط ائتمان بقيمة مليار دولار لشراء الكهرباء وسلع أخرى من إيران ، وفى تصريحات أدلى بها حاكم بنك سوريا المركزي أديب ميالة في الخامس من مايو ٢٠١٥ لشبكة بلومبيرغ الإخبارية بددت تلك الشكوك، إذ أشار إلى أن إيران أعطت "موافقة أولية" على قرض جديد للحكومة السورية بقيمة مليار دولار أمريكي، سوف يستخدم في تمويل الصادرات، وكان ذلك القرض هو الثالث منذ اندلاع الاحتجاجات ضد النظام السوري في العام ٢٠١١ ، حيث جاء القرض الأول، والبالغ مليار دولار أمريكي جاء في شهر يناير من عام ٢٠١٣ بعد انخفاض إيرادات الحكومة السورية بشكل كبير وبنحو ٥٠ % عنها في عام ٢٠١٠، حيث أدى النزاع المسلح والعقوبات الاقتصادية التي فرضتها الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي إلى تخفيض العوائد النفطية بنسبة ٩٠ % ، فضلاً عن تقلص الفوائض الاقتصادية للقطاع الحكومي وتراجع الإيرادات الضريبية من القطاع الخاص ، إلى قيام الحكومة السورية بتخصيص القرض الأول لاستيراد السلع الغذائية ولدعم الاحتياطي النقدي الرسمي الذي كان يتآكل منذ اندلاع الاحتجاجات بسبب تزايد الإنفاق العسكري. أما القرض الثاني كان أكثر قوة فبلغ ٣,٦ مليار دولار وقد حصل عليه النظام السوري في أغسطس

٢٠١٣، وخصصه بشكل أساسي لاستيراد المشتقات النفطية، كما ساعد القرض الثاني في كبح حدة انخفاض سعر صرف الليرة السورية مقابل الدولار عن طريق ضخ المزيد من الأموال في السوق لتجنب انهيار العملة المحلية(٤٠).

ولم يكن القرض الجديد هو الوسيلة الوحيدة التي أعربت من خلالها إيران عن التزامها بدعم النظام السوري بعد سلسلة من الانتكاسات العسكرية، بالإضافة إلى ذلك، استقبلت طهران وزير الدفاع السوري (فهد جاسم الفريج) لمناقشة "تعزيز التعاون الاستراتيجي بين الجيشين (السوري والإيراني) لمواجهة التحديات التي تتعرض لها المنطقة" ، كما أرسلت إيران رئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في مجلس الشورى الإيراني آنذاك (علاء الدين بروجردي) إلى دمشق ليعلن من هناك أن دعم النظام السوري هو "ثابت ودائم" ويؤكد عدم وجود "قيود ومحدودية للتعاون مع سوريا وتقديم الدعم" ، وبعد أيام قليلة بعد تلك الزيارة، وقعت كل من سوريا وإيران في ١٨ مايو ٢٠١٥ عدة اتفاقيات شملت قطاعات الكهرباء والصناعة والنفط والاستثمار، كما ناقشا "سبل تطبيق الاتفاقيات الموقعة بين البلدين"(٤١).

فبعد أن دمرت الحرب قسمًا كبيرًا من البنية التحتية والقطاعات الإنتاجية السورية، قامت إيران،- وبخلاف بقية دول المنطقة- ، بإبرام الكثير من اتفاقيات التعاون والعقود الاقتصادية مع الحكومة السورية من أجل إعادة تشييد تلك القطاعات، وقد شمل ذلك مجالات الخدمات والبنية التحتية والكهرباء والصحة والمطاحن والمواد الغذائية والقطاع المالي، فضلاً عن القروض التي أبرمت في عام ٢٠١٣ لتمويل المستوردات بشرط أن تأتي نسبة كبيرة منها من

إيران وعبر شركات إيرانية، وقد أعفت دمشق في يوليو من عام ٢٠١٣ شركة إيرانية مختصة بتصدير المواد الغذائية من كل الرسوم والضرائب لدى دخول بضائعها إلى سوريا.

في عام ٢٠١٢، شرعت كل من سوريا وإيران بتطبيق اتفاقية التجارة الحرة وباتت السلع والمنتجات التي يجري تبادلها بين البلدين غير خاضعة للضريبة و التعرفة الجمركية، وقد ساهم ذلك بارتفاع حجم التبادل التجاري بين البلدين من ٢٨٠ مليون دولار في عام ٢٠١٠، إلى مليار دولار في العام ٢٠١٤، بنسبة نمو تقارب ٢٦٠ % في غضون أربعة أعوام ، فضلاً عن العقود المجزية التي تحظى بها الشركات الإيرانية حالياً في سوريا والتبادل التجاري المزدهر بين البلدين، تقع سوريا ضمن مخططات إيران البعيدة الأمد والمتمثلة في توسيع نشاطها في سوق الغاز الطبيعي العالمي. وقد نجحت إيران، مستفيدة من اعتماد النظام السوري على دعمها المالي، في توقيع اتفاقية بين البلدين في نهاية عام ٢٠١١ لمد أنبوب ينقل الغاز الإيراني عبر العراق وسوريا ليجري تصديره عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا، وفي حين أعاقت الحرب في سوريا تنفيذ ذلك المشروع الحيوي للمصالح الإيرانية، فربما يمثل انتهائها بهزيمة النظام السوري تلاشي آمال إيران في مد أنبوب الغاز وتعزيز حصتها من سوق الغاز الطبيعي العالمي[٤٣].

كما تبقى عين إيران على مرحلة ما بعد الحرب، وتحديداً على عملية إعادة الإعمار، حيث يوجد حالياً ملايين المنازل والمنشآت والبنى التحتية المدمرة في سوريا، وسوف تكون إيران مستعدة بدورها، في حال امتلكت علاقات طيبة مع

النظام الحاكم في ذلك الوقت، للعب دور مهيمن في عملية إعادة الاعمار، وهي التي تصنف كأكبر منتج للأسمنت والحديد في منطقة الشرق الأوسط.

من جهة أخرى ، تتنافس كل من طهران وموسكو على تحالفات مع لاعبين رئيسيين في المجالين السياسي والاقتصادي السوري لتسهيل صفقاتهم التجارية والحفاظ على مصالحهم. ونتيجة لذلك ، أنشأ كلاهما مجالس اقتصادية للإشراف على مشاريعهما وتنظيم العلاقات مع شركائهما السوريين، حيث تعمل إيران على المستوى المحلي من خلال بناء شبكات قائمة على الانتماءات الطائفية والثقافية والقبلية.

و تعد سوريا منتجًا صغيرًا للنفط نسبيًا ولكن قبل الحرب الأهلية كانت صناعة البترول جزءًا رئيسيًا من اقتصادها، فوفقًا لصندوق النقد الدولي ، شكلت مبيعات النفط لعام ٢٠١٠ ، ٢٥ % من إيرادات الدولة ، التى تُقدر بنحو ٣,٢ مليار دولار سنويًا [٤٣].

وبنهاية عام ٢٠١٨ ، بلغ إنتاج النفط السوري ٧٠ ألف برميل يوميًا ،٥١ بزيادة ، لذلك يعتبر كان قطاعا النفط والغاز من بين أوائل القطاعات التى تتهافت عليهم الشركات الإيرانية في سعيهما لتعميق المشاركة الاقتصادية، حيث يوفر قطاع المعادن إمكانية تحقيق عائد سريع على الاستثمارات على الرغم من القمع الأمريكي المستمر على صادرات النفط السورية، غير إن القطاع يُعد أيضًا مصدرًا أساسيًا للعملة الأجنبية للنظام وإيراداته ، وبالتالي يمنح المستثمرين تأثيرًا كبيرًا على الأسد[٤٤].

أخيرًا ، تتيح الاستثمارات في القطاع للمستثمرين الإيرانيين حصة في الجغرافيا السياسية لخطوط الأنابيب وبعض التأثير في عرقلة أو تشكيل أي

مشاريع مستقبلية ، على سبيل المثال ، منح خط الائتمان الأخير الذي تم التفاوض بشأنه مع دمشق خلال زيارة (عماد خميس) إلى طهران في يناير ٢٠١٧ ، (١٠٠٠) هكتار لإيران لإنشاء محطات للنفط والغاز وكذلك مذكرة تفاهم لتعدين الفوسفات في وسط سوريا، حيث لا تزال إيران المورد الرئيسي لمنتجات النفط المكرر إلى سوريا ، وقد استفادت في مناسبات عديدة من هذا الموقف للحصول على تنازلات مهمة من دمشق، بالإضافة إلى تلبية الطلب على الطاقة ، تُدر إمدادات النفط الإيرانية عائدات كبيرة للاقتصاد السوري[٤٥].

و في أوائل عام ٢٠١٧ ، وقعت الحكومة الإيرانية والكيانات الاقتصادية القريبة من الحرس الثوري الإيراني اتفاقيات اقتصادية واسعة النطاق مع رئيس الوزراء السوري آنذاك (عماد خميس) منحت إيران ، من بين أمور أخرى ، ترخيصًا لبناء شبكة خلوية في سوريا ، وعقود إنتاج الفوسفات ، و (٥٠٠٠) دونم من الأراضي الزراعية و (١٠٠٠) دونم لبناء موانئ النفط والغاز، [٣٧] كما نصت الاتفاقية على إطار عمل لإنشاء غرفة تجارة سورية – إيرانية مشتركة ، تعمل فعليًا كذراع اقتصادي لإيران في سوريا ، والتي تأسست بالفعل في ٢٩ يناير ٢٠١٩ ، عقب اجتماع لمنتدى الأعمال السوري الإيراني[٤٦].

سادسًا : الاستنتاجات

لا شك أن أنشطة إيران في الشرق الأوسط موثقة جيدًا ويمكن أن تظهر بطبيعتها طائفية، بل فى الواقع إيران متورطة بشدة في صراعات اليوم في العراق وسوريا، بالإضافة إلى ذلك فإن نطاق النشاط الإيراني في اليمن يعتبر أكثر ضبابية ونزاعًا ، لكن إيران لا تفعل شيئًا يُذكر لإخفاء دعمها للشيعة الزيدية الحوثيين ولحركة أنصار الله.

فى الحقيقة ، إن حلفاء إيران في هذه الصراعات هم من غير السنة الذين يشتركون في نفس النوع من التشيع مع قادة إيران (حزب الله اللبناني والميليشيات العراقية) أو يتعاطفون مع أشكال أخرى من الإسلام الشيعي (العلويون في سوريا والزيدية في اليمن) ؛ حيث تضفي مثل هذه الروابط على سياسة إيران الخارجية زاوية طائفية واضحة ، لكن يبقى السؤال : هل سياسة إيران الخارجية مدفوعة بمصالح طائفية أم أنها أكثر تعقيدًا من ذلك؟

عندما نقوم بتحليل سلوك إيران الاستراتيجي وعملية صنع القرار ، من المهم أن نلاحظ أن البلاد لديها مستويين رئيسيين من السياسة الخارجية ، وكلاهما يشرف عليهما المرشد الأعلى ويخضعان لسلطته ، لكنهما يختلفان في المحتوى والشكل ؛ فالمستوى الأول هو سياسة الدولة ، والتي تُدار في معظم الحالات من قبل الحكومة المنتخبة في طهران.

أما المستوى الثاني ، فهو علاقات إيران مع العملاء من غير الدول ، والتي يشرف عليها الحرس الثوري الإيراني وتُدار في الغالب خارج نطاق اختصاص الحكومة.

من جهة أخرى ، يمكن أن تبدو سياسة إيران الخارجية متناقضة، بينما تروج الدولة لسيادة نظام الحكم الإسلامي ، وتظل أكثر مؤيدي العالم صراحةً لمناهضة الولايات المتحدة الأمريكية ومعاداة الصهيونية ، تُظهر علاقاتها صورة أكثر تنوعًا، على الرغم من أن أكثر حلفاء إيران حماسة هم جهات فاعلة غير حكومية ، ومعظمها من الجماعات الإسلامية الشيعية ، إلا أن طهران تحتفظ بعلاقات مثمرة بين الدولة ومجموعة من الدول التي تتبنى عددًا

من الأنظمة غير الإسلامية؛ حيث تشتهر إيران بأنها أقرب إلى الهند من جارتها المسلمة باكستان ، فضلًا عن تفضيل إيران لدولة أرمينيا المسيحية إلى حد كبير في نزاعاتها المستمرة مع أذربيجان الشيعية، بما في ذلك الصين وكوريا الشمالية وفنزويلا.

لذلك نستطيع القول ، بأنه بعد ما يقرب من عقد من الزمان على بدء التدخل الإيراني في الحرب الأهلية السورية ، يمكن القول إن إنشاء فرع للجمهورية الإسلامية في سوريا هو أمر واقع؛ حيث إن مهمة القضاء على الوجود الإيراني في سوريا ستكون صعبة للغاية ، وربما مستحيلة، في ظل ظروف الفوضى التي سادت سوريا ، حيث نشر الأخطبوط الإيراني أذرعه واستقر في الكائن الحي للدولة السورية، وهكذا يبدو أن الجمهورية الإسلامية ، على غرار نجاحها في تحويل الحرب الأهلية اللبنانية في الثمانينات إلى نقطة انطلاق لتوسيع نفوذها الإقليمي ، استغلت المأساة السورية لتعميق وتقوية ما أطلق عليه الملك عبد الله عاهل الأردن عام ٢٠٠٤ " الهلال الشيعي ".

قائمـــــة المصـــادر

١- فراس أبو هلال، **إيران والثورات العربية: الموقف والتداعيات**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، يوليو ٢٠١١م
٢- محمد عباس ناجي، **مستقبل الدور الإقليمي لإيران بعد الثورات العربية**، مجلة السياسية الدولية، العدد ١٨٥، يوليو ٢٠١١م
3- Iran's Foreign Policy towards Iraq and Syria"
http://belfercenter.ksg.harvard.edu/publication/17662/irans_foreign_policy_towards_iraq_and_syria.html
4- New US Syria policy should engage Iran
http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/02/syria-us-should-engage-iran-russia.html#
5- Syria, Turkey and Iran: Regional Dynamics of the Syrian Conflict
http://www.chathamhouse.org/sites/default/files/public/Research/Middle%20East/171212summary.pdf
6- Iran and Assad have won in Syria, say top Tehran foreign policy figures
http://www.theguardian.com/world/2014/may/11/syria-crisis-iran-assad-won-war-tehran
7- Syria as a Spoiler in Iran's Foreign Policy
http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/syria-as-a-spoiler-in-irans-foreign-policy
8- How Iran Keeps Assad in Power in Syria
http://www.foreignaffairs.com/articles/68230/geneive-abdo/how-iran-keeps-assad-in-power-in-syria
9- Reading Syria from Tehran
http://www.economist.com/blogs/pomegranate/2013/09/iran-s-foreign-policy
10- **Idem**

11- Majid Rafizadeh, "Iran's Forces Outnumber Assad's in Syria," Gatestone Institute, November 24, 2016.
12- Nader Uskowi, "The Evolving Iranian Strategy in Syria: A Looming Conflict with Israel," Atlantic Council, September 2018, p.2; Navvar Saban, "Factbox: Iranian Influence and Presence in Syria," Atlantic Council, November 5, 2020.
13- The map is presented in: "Maps - 477 sites of foreign forces in Syria," [Arabic] Enab Baladi, January 6, 2021.
14- Fabrice Balanche, "The Assad Regime Has Failed to Restore Full Sovereignty Over Syria," Policy Watch 3433, The Washington Institute for Near East Policy (WINEP), February 10, 2021.
15- Syria Update," Center for Operational Analysis and Research, July 4-10, 2019.
16- Ibid.
17- Sarah Dadouch, "After backing Assad, Iran and Russia compete for influence and spoils of war," The Washington Post, May 20, 2021.
18- Edward Wastnidge,'Iran's own 'War on Terror': Iranian foreign policy towards Syria and Iraq during the Rouhani Era, in Luciano Zaccara (ed) The Foreign Policy of Iran under President Hassan Rouhani (Palgrave MacMillan, forthcoming 2019.(
19- Article 3.16 of Constitution of the Islamic Republic of Iran (in Persian), available online at :http://www.moi.ir/Portal/File/ShowFile.aspx?ID=ab40c7a6-af7d-4634-af93-40f2f3a04acf .English version available online at :https://www.constituteproject.org/constitution/Iran_1989.pdf?lang=en

20- Ali Mamouri, 'Competition Heats Up Between Qom, Najaf ،'Al Monitor ، May2013 :https://www.almonitor.com/pulse/originals/2013/05/qom-najaf-anxiety-competition-shiite.html
21- Wastnidge ،Iran's own 'War on Terror 'For an example of how this translates into positive views of Iran's regional role among Iraqi Shia, see Fotini Christia, Elizabeth Dekeyser, and Dean Knox, 'To Karbala: Surveying Religious Shi'a from Iran and Iraq ،'MIT Political Science Department Research Paper ،No. 2016-39. 2016
22- See, for example, Sabrina Mervin (ed ،(The Shi'a Worlds And Iran 2010 ،London: Saqi Books: London.
23- Edward Wastnidge, 'The Modalities of Iranian Soft Power – from Cultural Diplomacy to Soft War ،'Politics ،Vol. 35, issue 3-4. 2015.
See website of the Ahl ul-Bayt World Assembly :http://www.ahl-ul-bayt.org/en/introducing-the-assembly
24- Wastnidge ،The Modalities of Iranian Soft Power
See website of the Imam Khomeini Relief Foundation :https://portal.emdad.ir/
25- Ephraim Kam, "Iranian Stakes in Syria," Special Publication, Institute for National Security Studies (INSS), November 12, 2019.
26- Strangers on Syrian soil," [Arabic] Syrian Anonymous Journalists, September 16, 2020.
27- Absence of a military uniform and presence of Iranian symbols at Sayyida Zaynab at the gates of Damascus," [Arabic] al-Sharq al-Awsat, December 24, 2020.

28- Iran commemorates Soleimani's assassination in Syrian cultural centers," [Arabic] Enab Baladi, December 29, 2020.
29- "Iran commemorates Soleimani's assassination in Syrian cultural centers," [Arabic] Enab Baladi, December 29, 2020.
30- 'War of Influence' ... The Secret of Deir al-Zur's Bombings," [Arabic] Aman Dostor, February 28, 2021.
31- Oula A. Alrifai, Ali Alleile, "Russian-Iranian Tensions in Deir al-Zour," Policy Analysis, The Washington Institute for Near East Policy (WINEP), September 4, 2020.
32- Trey Yingst, "Iran Building New Underground Tunnel to House Missiles: Intelligence Sources," Fox News, December 10, 2019.
33- Sources: Commander of the IRGC killed in eastern Syria, "[Arabic] Enab Baladi, November 30, 2020.
34- Raz Zimmt, "Spotlight on Iran- May 27, 2021 – June 10, 2021," The Meir Amit Intelligence and Terrorism Information Center.

٣٥- المعارضة المسلحة في سورية: لمحة موجزة

http://carnegie-mec.org/publications/?fa=50941

36- SALAM AL-SAADI," Iran’s Stakes in Syria’s Economy" https://carnegieendowment.org/sada/60280
37- idem
38- idem
39- International Monetary Fund (2010), ‘Syrian Arab Republic: 2009 Article IV Consultation’, IMF Country Report No. 10/86 (March 2010،(

40- https://www.imf.org/external/pubs/ft/scr/2010/cr1086.pdf (accessed 21 Jan. 2019).

41- Syria Report (2018), 'Syrian Oil Production at Above 70,000 bopd', 2 November 2018, https://www.syria-report.com/news/oil-gas-mining/

42- syrian-oil-production-above-70000-bopd-%E2%80%93-report (accessed 19 Jan. 2019)

43- Reuters (2011), 'Factbox: Syria's energy sector', 14 August 2011, https://www.reuters.com/article/us-syria-oil/factbox-syrias-energy-sectoridUSTRE77D15V20110814 (accessed 19 Jan. 2019).

٤٤-مروان قبلان،" المعارضة المسلّحة السوريّة: وضوح الهدف وغياب الرؤية "، (الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،٢٠١٤)

٤٥-المرجع السابق

٤٦- فراس أبو هلال، إيران والثورات العربية: الموقف والتداعيات، مرجع سبق ذكره، ص ٧.

٤٧- أحمد يوسف أحمد، نفين مسعد (محرران)، حال الأمة العربية: رياح التغيير (٢٠١٠_٢٠١١م)، مرجع سبق ذكره

48- Thomas Juneau, "No, Yemen's Houthis Actually Aren't Iranian Puppets"، Washington Post, May 16, 2016, https://www.washingtonpost.com/news/monkeycage/wp/2016/05/16/contrary-to-popular-belief-houthis-arent-iranian-proxies/.

49- .Shaffer, "The Islamic Republic of Iran"; also see, James Berry, "Brothers or Comrades at Arms? Iran's Relations With Armenia and Azerbaijan," in Iran in the World, eds. Akbarzadeh and Conduit,

50- Don Rassler et al., “Letters From Abbottabad: Bin Ladin Sidelined?,” Combating Terrorism Center, https://www.ctc.usma.edu/posts/letters-fromabbottabad-bin-ladin-sidelined.

51- Rassler et al., “SOCOM-2012-0000012-HT,” in “Letters From Abbottabad“ . ”.Treasury Targets Key Al-Qa’ida Funding and Support Network Using Iran as a Critical Transit Point,” press release, U.S. Department of the Treasury, https://www.treasury.gov/press-center/press-releases/Pages/tg1261.aspx.

52- Rassler et al., “Letters From Abbottabad,” http://nsarchive.gwu.edu/NSAEBB/ NSAEBB410/docs/UBLDocument16.pdf.

53- Daniel Byman, “Unlikely Alliance: Iran’s Secretive Relationship With Al-Qaeda”، IHS Defense, Risk and Security Consulting..

54- “Treasury Further Exposes Iran-Based Al-Qa’ida Network,” press release, U.S. Department of the Treasury

, https://www.treasury.gov/presscenter/press-releases/Pages/tg1741.aspx.

55- Trita Parsi, Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States (New Haven: Yale University Press, 2007)